فلاسفة البلاء والطمع

قيل الدكتور

إلى الدم يتنزل

بدأ الفيلسوف الإنساني في العصر الحديث بمجرد العقل، حتى أعله كله فوق كل كلة، وجعل منه الحكم الأخير، فياً يروج وما لا يروج، فما يصدق وما يكلب.

ذلك الحال، كان عند ديكارت، ومالرباش، وسليؤز، وليبنتس، ولكن الفلاسفة الحضريين، لوك، وهار كلي، ويهيم، واضرابيم، هاجموا المعاق والمبادي، العقلية، هبها عينها.

فظن الفيلسوف كان، أنه يستطيع أن ينفده، إذا اعتبر هاجر ديسينغ لتنظيم التجربة وجاء مفهوم التطور، فرأى رجاله: بأنه يتعين القول بأن الحس والعقل وظيفتان من وظائف الحياة، وأن المعرفة آلة العمل، وأن رأى كاتات، بلاهم تمام الملابمة.

ولقد أدى هذا الجمع بين نقد كاتات، ونظرية "التطور" إلى طاقة من المذاهب الحيوية أو العملية، غلبت فكرتها الحياة على فكرة العلم، فانقرفت عن كاتات، وعن سينسور، جميعاً.

افتقرت عن كاتات، في أن تنظم التجربة ليس الغرض منه العلم بل المعرفة، وأن المعاني والمبادئ ليست كلية ضرورية، وإنما هي عبارة عن حاجات الكائن الحي ومطالبته فهو يستعمل الصور العقلية لحفظ وجوده واستكالة.
ويستطيع أن يستبدل بها غيرها. دون أن يفوته النجاح العملية، كما يستبدل الصانع آلة بأخرى. أو جهازًا بآخر، ويؤدي مع ذلك نفس العمل أو يحصل على نفس النتيجة.

وافقت هذه المفاهيم الحيوية على سبنسر، في القول: أن الكائن الحي هو الذي يكون العالم وعلى حسب مطالبته. بينما (هيربرت سبنسر) يرى أن هذه المطالب نتيجة تأثير العالم في الكائن الحي.

فالعقل في المفاهيم العملية. غارئ في جوه، ينجه إلى العالم، لا إلى النظر. والعقل والمفاهيم والمباديء، فرض وعناوات يكون بها العالم لذاته.

فالدعاوهم العملية، لا تحمل إذن تهيز العقل والمفاهيم تقريباً تهيراً، أو نظيراً، غيره. كلاً ولاماً تقتسم مثال «كانت» بالمعنى المبادئي، وترمي مثله إلى تحقيقها بالفعل، وإقامة الإيمان بها على متصرفتها العملية.

فالدعاوهم العملية، مثل العقل العملي، عقولاً إلى قوة فعلية، وهذا الاتجاه المعادين الفلسفة، والذي يتضمن في الفلسفة العملية. فما في أمريكا في مطلع القرن العشرين على يد ثلاثة من أعلام الفلسفة، وهم:

- تشارلز درزر، وويلم جيمس، ودوجين ديرك.

لقيق هؤلاء الأعلام في فلسفةbbox، على توجيه العقل إلى العالم، دون النظر، واعتبار المعرفة أداء العقل الملتح، فأنصرف التفكير عن المباديء، والآليات إلى النتائج والغايات، وأصبح صدق الفكرة ممتعة تخالف من متصرفتها بالتجريدة.

هـذه الفلسفة العملية، البنايات المبادئ، تضع العالم مبدأ مطلقاً. وكوكبة البنايات المبادئ، منها كانت قديمة وتستعمل بمعان مختلفة. إلا أن المعنى المعروف...
هذا الآن نودة مقال مشهور بالتفسير الأمريكي د. ديرس 1879 - 1914.

نشر المقال في يناير 1879م تحت عنوان كيف توضح أفكارنا دذهب فيه إلى أن توضيح معنى الفكرة يكون بالقياس إلى آثاراً عملية في حياة الإنسان، وأهمية الكلمات والعبارات التي تتألف منها الفكرة خطأ للعمل، وقانون الفكر لا ينتمي إلى سلوك عصلي في دنيا الواقع باطلاً، أو غير ذات معنى يعود عليه.

واعتبر الفيلسوف د. ديرس، الاعتقاد من نوع الأفكار وهو حق مقبول.

ويذكر قاعدة التحقق من خلال الأدلة المتصلة بأن: أن تصويرنا للموضوع د. ديرس ما قد ينتج عن هذا الموضوع أن أثار عمله لا أكثر.

وهذا يعني أن علاقة الحقيقة أو معيارها: العمل المتحرج، لا الحكم المطلق، وأن العمل مبدأ مطلق، بحيث يلزم من ذلك أنه حر كل الحرية وأن لا شيء يعتضه. سواء العمل المادي والدائم والمطلق أو التصور، فالزمن من ذلك أن العالم مرن مستطع التأثير فيه وتمكنه. وأن تصوير إثارة فرض أو وسائل هذا التأثير والتشكيك.

ومن طريقة د. ديرس، لا آمنة المجمع مع عمل يقوم على نفس المنحنى الذي يصطحب المعنى في عمله. وذلك يتسبب الوصول إلى الحق أو الصواب، من لا يقبل جدا ولا يتحمل نزاعا.

وعلماً د. ديرس، في رأي د. ديرس، تمر عن الأمور الفيقال، ووضع موضعاً التأثير تجاوب، من الأمور الأكاديمية، الذي تميزه.

الفلسفة التقليدية.
وتبدأ في دراسة أهمية الفكر المعاصر في فكر معناها بوصفها: عادات الفكر، الموقف وجهة المبناة. وذلك في مواجهة ومعارضة ما يقول به الطابع الزمني والمذهب الحضري في أوروبا. وقد فسر الطابع الحضري للفكرة في إطار ما توحي به الصور أو الأفكار. غير أن ديرس، انتقد هذا المفهوم باعتباره يؤدي إلى النتائج والأعمال. واحتج ديرس، بأن الصور والأفكار إما أن يكون عربياً مشاعراً وشخصية. وهي بالتالي تجعل من عملية التخطيط أو التوصل ضرباً من الألغاز. ومن ثم فقد كان ينبغي أن يفسر الفن، ليس عبارة عن مجموعة من الأفكار التي تتوصل إليها الحواس، وإنما هو عدد من الاستجابات الموضوعية، ومن ثم يحل الفن في مكانها في المجمل بما كانت درجة التدفق، التي تبدو في فن من خلال، أو تصورها إذا كان من تجويج الفن القابل، فإن توجد المعقول. إنما يمكن فهم نشاط الفن بطريقة توجيه الحياة.

ورغم أن ديرس لا يملك على الدوام دوافع الفلسفة، إلا أنه أثار الطريق أمام التطور الملائم، وعندما أكد أن أساليب الواقع الانتقائي والعلم التجريبي، إذا توفر أفضل الطرق للوصول إلى المعرفة الحقة.

وقد استمرت أفكار ديرس على طريق معاصر، الذي فاقه شهرة، وهو الفيلسوف د. وليم جيمس 1842 - 1913، أكبر أعلام الفلسفة العملية.

وэтому الفيلسوف اعتبار الفكر المعاصر الذي يؤدي إلى النجاح في الحياة، والمعتقد الصحيح الذي يتحقق الأفكار في دنيا الحاضرة، ومن ثم فإن الأفكار والمعتقدات لا تتطلب لها، وإنما تتم كوسائل لتحقيق أفارض في دنيا الواقع.
علاقة الحق أن يكون الإعتقاد فيه خيراً من إنيكاره في مجال الحياة العملية. فالحق ليس مجرد صفة عينية، تقوم في طبيعة الفكره، والÝنة، كما يعم الصوريون من الفلاسفة بل هو حالة الفكره لأن تكون أداة سلوكي على ذهاباً للاحساسة، وعند هذا الحال، فالمثل في الأخلاق فالعمل الإنساني فاضل من حقوق نفعاً في حياة الإنسان.

ويقول د.ويل جيمس في إجابة: أن الفكره هو أولاً وأخيراً من أجل العمل وقصرنا لا يشي، ندر كاملاً، ليس في الواقع إلا أداة تحقق بها غاية ما.

ومن هذا، أن الأفكار يجب أن تعتبر عن طريق مانتوقمة منها من تجارب حسية أو عن طريق محاولة رد الفعل العام لها، فإن الحق ليس إلا للتفكير الملمع لما بينه كما أن الصواب ليس إلا الفعل العام في مجال السلوك.

وقد طبق د.ويل جيمس، فلسفة ويفناجاتون، تطبيقاً مشتركاً للغاية في كتابه أصول علم النفس، فيحاول بتحليل المفاهيم الأساسية مثل الفرض، والذمن، وأشار إلى مفاهيم الحسبين النجيري، والمثال حتى التوضيح: إنما يشترك ما في الإيمان بقدمات عامة، لا تستطيع الصعود أمام التحليل العلمي، أو أمام النتائج التي توصل إليها علم الحياة، وعلم النفس.

فقد عجز الفيستون عن إيجاد أي مفاهيم ذاتية تنتمي مع كلاً، الفرض، والذمن، ولذلك فقد أقر المتاليون بشيء بعيد عن مجال التجربة، لإسهام المفاهي على تيار الصور في جريء الوعي.

أما د.ويل جيمس فقد فسر الفرض، والذمن، ووصفهما بنطيين من أنماط السلوكي التي يمارسها الجهاز الحي بوحه عام، فذكاء شخص، وما، أو هده.
يمكن تبنيه من خلال استجابته المروحيّة للموقف الذي يحدث نفسه فيه.

وكتب وليم جميز، أصول علم النفس، يقال عنه: كان دليلاً لما لويلم جميز من دقة التحليل وطلارة الأساليب والعمق والتأصيل. وهو كتاب صدر سنة 1891 م في مجلدين كبيرين. وكان هذا الكتاب

فيما أعددها في ميدان الدراسات النفسانية، بسط فيه وليم جميز وجهة نظرة في دراسة علم النفس دراسة مستندة إلى التجربة وبثقته في الدراسات النفسانية، وجهة نظرة في ميدان علم النفس إلى الواجهة وتناول التفسير والمعرفة باعتبارهما أدوات يسعون بها الإنسان في نضاله في الحياة.

وداعر جميز في دراسته تلك عن إزالة الإنسان الحر.

وحين أتم كتابه في علم النفس بدأت تأملاته تتجه إلى طبيعة الله، ووجد وخلود النفس، وحرية الإرادة، وقيم الحياة.

وقد امتازت دراساته في هذا الميدان بالتجديد والعطاء والإبتكار. وذلك لأنه كان ميلاً إلى التأمل العملي، مؤثراً تعمق التجربة النفسانية، بعيداً عن القلق في المناقشات الجدلية.

فمن استقل تأملاته في الله. اتجه اتجاهه مباشرة إلى التجربة الدينية، يتطلع فيها طبيعة الخالق، ويم وجه نحو البت النفساني، ليعرف معنى الخلاص بعد الموت، وقضى مبادئ الامتناع والعمل، ليستحث حرية الإرادة، وليدحض التزعة الحميّة. كان جميزًا بحثًا منتقلاً في هذه المبادئ كلاً.

يسر وسائل وعزة.

تراه أنه للفداء بعد الموت في حاجة إلى الدليل المحقق، ولكن وجود
الله تسره التجربة الدينية، فالتل هو المتوفى في المللات، وله هو وحده الذي يفجر الأزمان، والحرية تراخ في إرتباط الأشياء بحيث: أن المستقبلي لا يتعين تعييناً لا مفر منه بالماضي والحاضر وعل ذلك فالحرية تنقذ التاريخ من الهبوط إلى محض نكرار سقيم.

وقد ظهرت أراء هذا الفيلسوف، في كتاب من مقالات، وما أبقى من محاضرات، وجمع فيها بعد في مؤلفات هامة: منها دواء الاعتقاد، وقد ظهر سنة 1897، وفيبر الذعر، سنة 1898، وأحاديث إلى المعلمين في علم النفس، سنة 1899، و "تنوع التجربة الدينية"، سنة 1902، وكانت دراسته في هذه الفترة تتصل من قريب ومن بعيد، بهذا الجانب أو ذاك من جوانب المشكلة الدينية.

وبرز كتاب "تنوع التجربة الدينية"، إحياءً وليم جيمز، في التصدى للمشكلات الفيلسوفية الخاصة. وفي سنة 1898 ألقى محاضرة في جامعة كاليفورنيا عن "التصورات المقلية والمقلة الممثّلة، وصاغ النهج المعروف بالملاحظ البرمجية، وقد إتسع بالمواقف البرمجية في دراساته للتجربة الدينية، ونظر في أفكار الصدفة والتحكير، والتعدد، والتنوع والحرية، وأستمر بتلك القاعدة في حملته إلى شهادات المذاهب الواحدة، التي تنظير إلى العالم على أنه كل موجود.

وفي سنة 1906 دعى ليحاضر في جامعة ستانفورد، بكاليفورنيا، وجمع محاضراته في كتابه "البرمجية"، وهو يضمن عبر ضاً واضحًا للمهم جديداً في التفكير والعمل، مستنداً إلى التجربة الأصلية.
والبراجيجة عندلني تتروق أن تدخل في الفلسفة المنهج العمل التجريبي الذي تثبت صحته وفاعليته في الكثير من المبادئ العملية. وذلك بفضل جرأته على التحقق الدقيق من كل فكرة أو نظرية، والبراجيجة تسعى بوضوح في مذاهب الفلاسفة وتبييضها، تعود بها إلى مضامينها الواقعية، ولكنها لانقذ منها موقف الحكم، فالحكم النهائي يظل دائمًا أمرًا شخصيًا.

ومن كتبه: إرادة الاعتقاد، وقد ترجمه الدكتور محمود عبد الله إلى اللغة العربية سنة 1947م. ونشره ضمن مؤلفات الجريدة المصرية الفلسفية.

ومن كتبه: دواوين الخبراء الدینی، مؤلفات المثقف العلمي، والبراجيجة.

و "العالم المتنده، وبعض مشاكل الفلسفة" وغيرها.

وتتميز مؤلفاته دولج جيما، بما فيها نظرية على، ودقة باللغة، ورجوع الاهتمام المستمر الذي أحرزته مؤلفاته وكتاباته، إلى التأثير الذي قامت به الفلسفة العملية في الفكر الحديث.

ولقد ارتفعت شأن الفلسفة العملية بفضل الأستاذ ج.و. دبوري في القرن الحادي والعشرين، 1952م. ويعتبر من أعظم رجال التربية في أمريكا.

تأديت فلسفة التربية الديمقراطية في المدارس، وبدأ أرضيته بأن كان "هجلياً". فرأى مثل "هجلي": أن فلسفة الفكر الحديث ناشئة من التعارض بين المثل الأعلى والواقع، أو بين الروح والطبيعة.

فأراد دبوري، أن يحقق الوحدة الروحية خيرًا عاقد "هجلي"، وكان دبوري كاتب التأليف.
صرح أن الفكر ليس إلا وسيلة أو ذريعة لخدمة الحياة. وسمي مذهب الدراجات، التربية التقدمية، وتزعم عنه هو التحقق من منفعة الفكر بالتجربة. ولا يمكن أن يكون شيئا آخر. وفي مذهب الدراجات الذي أتى إلى الآلهة يرى أن الحياة توافق بين الفرد وبيته. وهكذا، فإن العقل ليس أداة معرفة بل أداة ترقية للحياة وصواب المعتقد مرهون بأثره وبقيته المنصرفة.

وبهذا اتبع معنا "المراجعة" فأصبح صواب الفكر أو المبدأ معناه تناسقه مع حياة الآخرين ومتقبلتهم، وليس مع حياة الفرد العملية حسب

وللدوري في المطالبة بتطبيق منهج البحث العمل، على شاكلة مجالات التفكير، ولا سيما مجال الفهم في الأخلاق والجمال والسياسة وغيرهم.

أما أن يرى هذا إلى تغيير الفهم، بحيث تقام ظروف الحياة، وتنشأ مع مقترحاتها.

والمثلي العمل عند "الدوري" هو الطرق التي يصفها الباحث في الحرمين من نطاق الفكر إلى نطاق العمل. ويبدأ الفكر أيهما أقزاما لحلًّ إشكال. فإن وفقت إلى حله، كانت صوابا. ويعتقد الدوري أن الفكر أهمية أداة خدمة الحياة، والناس لا يزالون التفكير مثيراً جريمة حياتهم لينة ثابتة، فإذا عاقب التفكير لم يعراض التفكير منظورين.

ففكر الناس خطأ يواجهون بها المصاعب، ومقياس حجة التفكير عند الناس يقوم في مدي ما يحققون من نجاح. وفي ذلك يقول:

أن كل ما يرشدون إلى الحق فهم حق، ويخلق الذين بحسون وهم أن العلم تقصده إلقاء المعنى ذاتها. وأن التفكير المجرد مقطوع الصلة

بتطلب الحياة العملية.

(20 - حولي آصول الدين - ع)
ولكن الواقع أن كل بحث وراء الحقيقة ليس إلا طريقة لإيجاد وسائل تخدم حيآتنا العملية ومن ثم كان موضوع التفكير عند د.وي، خطوة بارزة في تحقيق فعل من الإفصاح، والفلسفة، د.وي، قد عالج كثيراً من نواحي المعقدة الإنسانية في كتاباته، مؤلفاته، التربية والفلسفة، والمنطقية، والنفسية، والفنية.

أعمال كتبه، الديمقراطية والتربية، وقد ترجم إلى اللغة العربية وقام بترجمته الدكتور مصطفى عزراوي والاستاذ كريستيان ميخائيل ونشر عام 1946 م.

ومن كتبه كيف، فكر، و، المنطق، و، نظرية البحث، وعثر هذا كثيراً وعموم مؤلفاته أُصبحت معروفة في العالم العربي ولها تأثير.

وأخير بنظريته معظم رجال التربية في مصر، وذكره يتردد على السنة طلاب كليات التربية في العالم كما أن آراءه تمثل نقاطة في التربوية، والفلسفة، وعلم النفس.

ومن هذا الموضوع الموجه لأعلام الفكر، بيرس وجومز وديوي، وفلسفتهم، يتبين لنا أن صواب الفكر عند هؤلاء تمثل به الآثار التي تترتب عليه في دنيا العمل، وهذا الإتجاه يصبح بنزعة واقعية ملحوظة، لقد تعاون على صيغ المقل، وأطراته الذهنية، وأُصير بدنيا العمل أوعى اتصال.

فكان هذا ثورة على الفلسفة التقليدية، كان الفكر في الفلسفة المتالية يسبق موضوعه، فأصبح في الفلسفة العملية لاحقاً له، وكان الحق بمجرد عن ظروف الحياة ومطالبه، فأصبح مرهوناً بعلاقات بالفعل الذي يحققه.
في حياة الإنسان، وأضِنَّ هدف التفكير قائمًا في استخلاص القيم العملية للكلمات والعبارات في كل صورها، واستفادة التجربة في أمرها.

معنى كلمة "براجماتزم":

معظم النقاد قد تناولوا في إدراك ما ترى إليه هذة الفلسفة العملية عندما تتحدث عن ما هو عمل، لأن ما تشبه فلسفة "براجماتزم" بكلمة "عمل" هو أمر مشابه لما نقصد إليه "براجماتزم" بكلمة "عمل". وهو أمر مشابه لما نقصد إليه "براجماتزم" عندما أطلق فورياً التحقق التطبيق العملي في مفهومه عن الحقيقة وفي بعض الأحيان. ولهذا المحصلة تستخدم كلمة "عمل" بنفس معنى "عمل"، ومن ثم يؤكد نقاد فلسفة "براجماتزم"، وعلى الأخص "براجماتزم"، أنه طالما أن الفلاسفة البراجماتيون يؤمنون بنظرية عملية عن الحقيقة فيما يؤمنون بال الماضي. أن كل ما هو مفيد فهو حقيقي، وأن كل ما كان مدعى للربح فهو حق وان كل ما يساعدنا على أكتئاب المال فهو من الحقيق الراسخة، والواقع ماترى إليه: فلسفة "براجماتزم" بكلمة "عمل"، لا يوجد أن يدل على النشاط والسلوك والتجارب التي لا تكون بالضرورة ذات نفع أو فائدة.

للفلاسفة "براجماتزم"، يوجد أن كل صنف التفكير شىء على وقعتهم بهذا، أن كل تفكير أمر تجريبي. وأنه باعتباره تجريبي فإن عمل الموه مثبت نوعاً من التغيير العملية في الأشياء، وأن يتحدث من الوجهة الحرفية، أمرًا مائي هذا العالم وله حد سواء، ولا يعني هذا أن كل فعل علم، أو كل مفيد هو باعة على السرور.